بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 71 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:17\01\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال البحث في بيان الربط السياقي بين آيات هذا المقطع الذي دخلنا فيه والمقطع السابق.

الفخر الرازي يرى أن الله سبحانه نوّر قلبه بالهداية إلى بيان وجهٍ يُبيّن الانسجام الكامل بين مقاطع هذه السورة. حاصله: أن ابتداء هذه السورة بيّن الباري تبارك وتعالى أنه خلق الإنسان من العدم ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ فمطلع هذه السورة المباركة بيّن أن الله سبحانه وتعالى أوجد الإنسان بعد أن كان عدماً ثم بيّن أنه خلقه من نطفة أمشاج مختلطة -على في تفسير أمشاج كما تقدم سابقاً كأن يكون مختلطاً من ماء الرجل وبويضة المرأة أو من الغرائز والجينات المختلفة أو غير ذلك من الأقوال- فهذا المقطع يدل على أنه لا بد من وجود صانع مختار حكيم، أي: كنت عدماً فوجدت، فلابد هناك من أوجدني.

ثم بيّن بعد ذلك أن هذا المخلوق الذي خلقه وصنعه وبرأه لم يكن خلقه له عاطلاً باطلاً، بل كان لهدف، كما تقول الآية: ﴿نَبْتَليه﴾ لأجل أن نمتحنه ونختبره.

ثم بعد ذلك يتابع القرآن الكريم ليبيّن لنا أن الله سبحانه وتعالى لم يكتفِ أن أخرج هذا المخلوق من ظلمة العدم إلى نور الوجود، بل أودع فيه أدوات الهداية فجعله ﴿سَميعاً بَصيرا﴾السمع والبصر حواس، ثم أودع فيه العقل ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ﴾.

وبعد أن أودع فيه أدوات الهداية، هذا المخلوق المتكثر في الخارج انقسم بحسب أفراده إلى صنفين، صنف استفاد من هذه الأدوات والتحق بركب الهداية فكان شاكراً، وصنف عطّل هذه الأدوات ولم يستفد منها فكان كفوراً لذا الآية تقول: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.

ثم بيّن لنا بعد ذلك ما هو عذاب الكفور على نحو الاختصار، وأطنب وفصّل في ثواب الشكور، والذي أطلق عليه اسم الأبرار. وإنما أجمل في الكفور وأطنب وفصّل في الشكور ليبيّن لنا أن رحمته أوسع من غضبه.

وهذا التفصيل في جزاء الشكور استمر إلى نهاية الآية السابقة، والتي هي نهاية المقطع، وهي قوله: ﴿إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾.

فكل ما تقدم كان يرتبط بعالم الآخرة، الجزاء كان مرتبطاً الآخرة، الشراب والجنة والسلسبيل والألبسة المختلفة والأرائك والظلال وإلى آخره كانت ترتبط بعالم الآخرة.

في هذا المقطع جاء إلى جولة ترتبط بعالم الدنيا، فشرع في ذكر أحوال الدنيا، وقدّم في شرحه لأحوال الدنيا أحوال المطيعين على أحوال العاصين، لكنه قدّم مقدمة ليثبّت بها فؤاد النبي صلى الله عليه وآله، فقال له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا () فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾. ثم شرع في ذكر أحوال المطيعين وأحوال العاصي.

فإذاً يكون هناك انسجام كامل بين المقاطع، المقطع السابق يتكلم عن أحوال الآخرة، وهذا المقطع يتكلم عن أحوال في الدنيا. كما في المقطع السابق في أحوال الآخرة تكلم عن عقاب وثواب، وفي الدنيا تكلم عن مطيعين وعن عصاة. فيكون بين الآيات تمام الانسجام. فلذا في آخر البحث يقول: "فالحمد لله الذي نوّر عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الأنوار، وله الشكر عليه أبد الآباد".

هذا ما ذكره الفخر الرازي في بيان الترابط السياقي بين المقاطع.

وهذا وإن كان أكثر تفصيلاً مما تقدم عن العلامة الطباطبائي، وهناك محاولة دقيقة لبيان هذا الانسجام.

لكن في الواقع ما تقدم سابقاً ليس كله يرتبط بعالم الآخرة، بل مطلع السورة ناظر إلى عالم النشأة الدنيوية، فعندما ذكر خلقة الإنسان من أمشاج مختلطة وبيّن أنه أعطاه وسائل الهداية ثم الناس انقسمت إلى طائفتين، وهذا الانقسام حصل في عالم الدنيا، وبيّن أن هؤلاء الذين انقسموا في عالم الدنيا إلى من استفاد من الهداية لم يستفد الجزاءَ لهم في عالم الآخرة. وليس كله بأجمعه يرتبط بعالم الآخرة.

ثم هنا عندما بدأ بهذا المقطع الجديد ابتداءً قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزيلا﴾ هذا التنزيل للكتاب باعتبار أنه من أهم ما يقع في طريق الهداية، ما زال له ارتباط بـ ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ تلك الهداية السابقة كانت هداية تكوينية، حاصلة مما أودعه الله سبحانه وتعالى في هذا المخلوق فجعله ﴿سَميعاً بَصيرا﴾ أي: أعطاه العقل وأعطاه وسائل الإدراك. وتنزيل القرآن على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الذي بُعث لهداية الناس هذا نوع من الهداية التشريعية.

فلا نسلم هذا التفصيل الذي ذكره الفخر الرازي، بل في الواقع في هذا المقطع الأخير يوجد رأيان:

الرأي الأول: يرى أن هذا المقطع الأخير والآيات المشتمل عليها نزل في مكة المكرمة، بل البعض أنه من أوائل ما نزلت في مكة.

الرأي الثاني: يرى أن هذه الآيات كمطلع الآيات المتقدمة تكون كلها مدنية، وأشرت إلى هذا الخلاف في بداية البحث عن هذه السورة، حيث نقلنا عن ابن تيمية في منهاج السنة في مقام رده على العلامة الحلي رحمه الله أنه ادّعى أن العلامة الحلي جاهل بأحوال السادة الأطهار، أي أصحاب الكساء عليهم السلام، وجاهل بشؤون القرآن؛ لأنه بشكل صريح ادّعى أن علماء التفسير أجمعوا على أن صورة الإنسان مكية، وجاهل بأحوال أصحاب الكساء؛ لأن الحسن والحسين عليهما السلام ولدا في المدينة المنورة. فإذا كانت السورة مكية كيف تكون قد نزلت في أصحاب الكساء في القضية التي تروونها، وفي مكة المكرمة لم يكن هناك أسرى للمسلمين. إذاً كله جهل في جهل.

ورددنا عليه في محله، أن هذه عادة ابن تيمية التهويل، فبمراجعة كتب التفسير عند السنة تجد أن جمهرة المفسرين على أن سورة الإنسان مدنية، وهذا المصحف الذي نأخذه في الحج كهدية فمكتوب على سورة الإنسان أنها مدنية.

لا نريد أن نقول الإجماع بالعكس، هناك في من خالف في ذلك، لكن هم الأقلية، وأكثر المفسرين على أن سورة الإنسان مدنية.

ما يرتبط بهذا المقطع؛ باعتبار أنه يشتمل على بعض الآيات المتكررة في السور المكية، من قبيل قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ هذا المعنى -سوف يأتي- أنه متكرر في السور المكية، فلذا في هذا المقطع

الأخير هناك أقوال معتدّ بها أن هذا المقطع الأخير مكي. وهناك رأي آخر أن السورة كلها مدنية، البعض يستثني آية أو لآيتين من هذه السورة، والكل يراه مدني.

على القول بأن هذا المقطع مكي، هنا يأتي سؤال كبحث كبروي، عندما تتعدد مقاطع السورة الواحدة بين المكي والمدني، هل يمكن لنا أن نلحظ الترابط السياقي أم لا؟ لنفترض سورة مؤلفة من واحد وثلاثين آية نصفها مدني ونصفها مكي، وخصوصاً أن النصف المدني تقدم على النصف المكي، فلا يوجد ترتيب زماني؛ لأن المدني متقدم على المكي. فيرى البعض أنه حينئذ لا معنى للبحث عن الترابط السياقي.

نقول: هذا على إطلاقه غير صحيح؛ لأنه يوجد في علوم القرآن بحث، أن ترتيب الآيات بهذا الشكل الموجود في المصحف هل هو بشري أو هو إلهي، إلهاي ولو كان بأمر من النبي صلى الله عليه وآله، بشري أن النبي صلى الله عليه وآله أطلق على كل هذه الآيات اسم سورة الإنسان، وبعد ذلك أرباب المصاحف رتبوها بهذا الشكل.

إذا قلنا إنه بشري فحينئذ لا معنى للحديث عن الترابط السياقي. أما لو قلنا إن رباني وإلهي، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يأمرهم بأن يضعوا هذه الآية في هذا المقام وتلك الآية في ذلك المورد كما هو الصحيح ولو في الجملة.

فحينئذ نرى أنه لا ينتفي الحديث عن الترابط السياق، وهذا ما سوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله.